مجلة كلية العلوم الإسلامية
المجلد السابع العدد الثالث عشر 1434هـ - 2013 م

تأثير الفيضانات على سجون بغداد في العصر العباسي

د.رائد محمد حامد(*)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إظهار بعض الجوانب الخفية التي لم تعطى الاهتمام المناسب والحقيقي لها من قبل الباحثين، والذي سبب ضبابية وعدم رؤية واضحة في فهم حقيقي للماضي، فضلاً عن قلة وندرة الكتابات التي تتناول الجانب الاجتماعي للسجناء في الدولة العربية الإسلامية، وبخاصة أوضاع السجناء في ظل الكوارث الطبيعية، وهذا بحد ذاته عقبة تحول دون التعرف على ما يُعانيه السجناء في الإطار الحقيقي للتاريخ، ومما زاد من أهمية هذا البحث وصعوبته في الوقت نفسه عدم وجود إشارات أو معلومات كافية في المصادر التاريخية القديمة التي تساعد على رسم صورة صحيحة وواضحة عن الحياة اليومية للسجناء في ذلك الوقت، وهذا البحث نافذة نطل منها على مجاهل ما خفي من الأضرار والمعاناة التي لحقت بالسجناء بسبب الكوارث الطبيعية وأهمها الفيضانات التي شهدتها بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذاك.

(*) مدرس في قسم التاريخ،كلية الآداب ،جامعة الموصل.

Effect of the Floods on Baghdad's Prisons In the Abbasid Period

Dr .Raid Mohammad Hammed

ABSTRACT

The aim of this research is studying unknown fields which some of researchers do not care it. In addition to scarce of writings which deal with social field to prisoners in Arab Islamic state. Especially, situations of prisoners under the natural catastrophe. The important of this research consider as a framework we have known about suffering which happened prisoners at that time and effect of floods on them; therefore, we concentrated on the situation which was very difficult to deal with prisoners in the Islamic Arab state.

المقدمة

يعد الماء من المُقومات الأساسية لحياة الإنسان التي لا غنى له عنها لقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، حتى أن معظم الحضارات القديمة في العالم قامت ونشأت على ضفاف الأنهار لاحتياجها إلى الماء لأغراض الاستعمال المنزلي اليومي فضلاً عن الزراعة التي كانت تُعد من الموارد الأساسية في ذلك الوقت للسكان والدولة.

وبذلك كان الاهتمام بمشاريع الري وعمل السدود التي تُنظم وتُسيطر على مجرى النهر قدر المُستطاع وحسب الإمكانية والقدرات في ذلك الوقت، ولكن يبقى الإنسان ضعيفاً أمام قوة الطبيعة والمخاطر الناجمة عن تلك القوة والتي تُذكر

الإنسان من حين إلى أخر بذلك وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12) ﴾ (2).

لقد تعرضت بغداد عاصمة الخلافة العباسية للعديد من الكوارث الطبيعية التي تركت أثاراً سلبية على الحياة في ذلك الوقت، وكانت سبباً في سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ومن تلك الكوارث التي عصفت ببغداد الفيضانات الجارفة التي كانت من الخطورة بمكان، وقد تمثلت تلك المخاطر ما بين تهدم الدور وتشريد أصحابها وبين تفشي الأمراض والأوبئة التي غالباً ما تؤدي إلى الموت، وبذلك كانت الفيضانات تُسهم في زيادة حجم الخسائر الاقتصادية والبشرية، فضلاً عن عجز الدولة في مُعالجة ذلك الوضع الخطير لخروجه عن سيطرتها وعدم استعدادها الجيد لدرء تلك المخاطر وخاصةً في العصور العباسية المُتأخرة التي شهدت تدهوراً في المجالات كافة ومنها مشاريع الري والسدود التي أهملت بشكل كبير نتيجة الفوضى والاضطرابات التي كانت تعم البلاد من حين إلى أخر.

ومن الذين طالهم الضرر من تلك الفيضانات السجناء الذين يقبعون داخل الزنزانات علماً إن الإجراءات المُتخذة من لدن المسؤولين عن السجون في تلك اللحظات الحرجة والدقيقة والقاسية كانت تحتاج إلى حكمة وسرعة في اتخاذ القرار الصحيح لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه لان خطورة الموقف كانت تطال السجناء والمسؤولين عنهم على حدٍ سواء.

عندما نحاول أن نتخيل الوضع عند حدوث الفيضانات ومعرفة الإجراء الذي يتخذه المسؤول عن السجن ومُساعدوه من الحراس في تلك الأزمة، فإننا نتساءل: هل يُحاول المسؤول الخلاص بنفسه والنجاة من ذلك الخطر أم يُحاول إنقاذ السجناء ومساعدتهم، ممن هم في عهدته وفي ذمته أمام الله أولاً وأمام ولي الأمر ثانياً، وان حاول مساعدة السجناء وتخليصهم من ذلك الخطر فهل هناك مكان بديل يلجأ إليه لحجز السجناء قد أُعد مُسبقاً أم عليها للتفكير بذلك في حينه وإيجاد البديل المُناسب؟

فضلاً عن السيطرة على السجناء ومنعهم من الفرار في أثناء عملية إنقاذهم من الفيضانات.

ومما لاشك فيه إن تلك العملية تحتاج إلى جهد استثنائي وأعداد كبيرة من الحراس للسيطرة على السجناء لان نقلهم يتم في ظروف صعبة وحرجة تتمثل في نوعية النقل سواء أكان في القوارب أم سيراً على الأقدام فضلاً عن جاهزية الطرق وصلاحيتها التي يسلكونها، حتى يصلوا إلى الأماكن الآمنة والبعيدة عن الخطر، ومن المرجح أنه بعد استتباب الوضع سوف يتعرض المسؤولين على السجون إلى المساءلة من قبل ولي الأمر عن السجناء وأعدادهم وكيفية معالج الأمر في ذلك الوقت العصيب والذي لا يُمكن للكلمات أن تصفه بأي شكل من الأشكال.

لمحة تاريخية لسنوات الفيضانات التي تعرضت لها بغداد في العصر العباسي

من المفيد معرفة واستعراض سنوات الفيضانات التي ضربت بغداد وما تركته تلك الفيضانات من الآثار على الحياة العامة في عاصمة الخلافة العباسية وعلى السجناء في سجون بغداد.

أشارت المصادر التاريخية إلى أن فيضان نهر دجلة ضرب بغداد في سنة (186 هـ / 802 م) في أيام الخليفة هارون الرشيد (170- 193هـ/ 786- 809م) حيث زادت دجلة زيادة "بينة لم يُرَ قبلها مثلها ونزل الرشيد بأهله وحرمه و أمواله إلى السفن" [3] "ومَنَعَ الناس من العبور إشفاقاً عليهم وذلك يدل على إن الخطر كان محدقاً بالجانب الشرقي للمدينة" [4]، ولم يتم ذكر الأماكن التي وصل إليها ماء الفيضانات في تلك السنة، وفي عهد الخليفة المأمون(198- 218هـ/ 813- 833م) زاد نهر دجلة أيضاً وكان ذلك في سنة 215هـ/ 831م " حتى صار الماء على ظهور بيوت الرحى من نهر الصراة[5](الجانب الغربي من المدينة) وذلك في وقت لم يكن تزيد فيه هذه الزيادة

وتقطعت لذلك الجسور بمدينة السلام وزاد بعد ذلك أكثر من تلك الزيادة ثم نقص"[(6)].

وروي أنه " في سنة من السنين زاد ماء دجلة فسدت مداخله إلى أرضها لئلا يغرق فارتفع الماء في دجلة وارتفعت معه مياه الآبار وفارت حتى غرقت عدة من الدور" [(7)]، وفي سنة 220هـ/ 835م زادت دجلة أيضاً، " وتدفق مياهه إلى ما يجاورها وتعديها إلى كثير من المحال والدور" [(8)] أما في سنة 270هـ/ 884م فقد انكسرت السدود التي في منطقة نهر عيسى بالجانب الغربي من المدينة فادى ذلك إلى غرق حوالي سبعة ألاف دار من محلات الجانب المذكور [(9)]، وقد ذكر الطبري ذلك قائلاً وفيها انبثق ببغداد في الجانب الغربي من نهر عيسى من الياسرية [(10)]بَثَقٌ [(11)] فغرق الدباغون وأصحاب الساج بالكرخ وذكر أنه دق سبعة آلاف دار ونحوها[(12)]، ومن المعلوم إن السجن في الجانب الغربي بُني منذ أن بُنيت المدينة[(13)]، ولتحديد أماكن الغرق ومعرفة مواقعها ينظر الخارطة رقم (1).

وفي سنة 292هـ/ 904م " زادت دجلة زيادة لم يُرَ مثلها حتى خُربت بغداد وبلغت الزيادة إحدى وعشرون ذراعاً[(14)(15)]، ومن المؤسف لم يذكر المؤرخون القدامى شيئاً عن غرق السجون وما حصل للسجناء في ذلك الوقت، وقد أُشير إلى وجود العديد من السجون في ذلك الوقت الذي ذُكر فيه أن بغداد خُربت جراء الفيضانات، فقد أُشير إلى أنه في سكة المطبق الحبس الأعظم الذي يُسمى المطبق [(16)]، فضلاً عن سجن باب الشام[(17)]، بجانب قطيعة الفضل بن سليمان الطوسي [(18)]، وسجن نصر بن مالك [(19)] وكان في الجانب الشرقي [(20)]، وفيه أيضاً سجن النساء قرب سجن الرجال وغير بعيد عن الجسر [(21)]، فضلاً عن الحبس الجديد الذي بُني مكان قصر أم جعفر المعروف بالقرار [(22)]، وظل حتى سنة 350هـ/ 961م حيث هدمه الأمير البويهي مُعز الدولة (أحمد بن بويه 334 – 356 هـ / 945 – 966م)[(23)].ولتحديد مواقع السجون ينظر خارطة رقم (2).

وأُشير إلى أنه في سنة 307هـ/ 919م " كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور " [24] مما يؤكد وجود سجون في بغداد في ذلك الوقت، ويبدوا أن تلك المشكلة لم تكن تلاقي اهتماماً أو عناية من قبل المؤرخين القدامى.

وروي أنه في سنة 328هـ/ 939م " اتصلت الأمطار وزادت دجلة زيادة عظيمة لم يُعهد مثلها" [25]، وانبثق بثق بنواحي الانبار واجتاح الماء القرى فأغرق الناس والحيوانات وانصب " الماء في الصراة إلى بغداد ودخل الشوارع من الجانب الغربي من بغداد وغرق شارع الانبار" [26]، وتساقطت الدور والأبنية وانقطعت القنطرتان العتيقة والجديدة عند باب البصرة وبلغت زيادة الماء تسعة عشر ذراعاً[27]، وفي سنة 329هـ/ 940م زاد نهر الفرات زيادة غرقت هيت وسقط سورها وغرقت محال بغداد وهدمت القنطرتين بالصراة وسقطت الدور التي عليها [28]، وغرقت العباسية ودخل الماء شوارع بغداد[29].

في سنة 330هـ/ 942م " غرقت بغداد الغربية ودخل الماء مدينة المنصور وهدم طاقات[30] باب الكوفة" [31]، فضلاً عن سقوط أمطار غزيرة جداً سنة 332هـ/ 973م حتى ضربت المنازل وهدمت الأبنية وكان ما يسقط من هذه الأبنية لا يعاد بناءه[32]، وفي سنة 363هـ/973م انفجر بثق من الخندق وغرق مقابر باب التبن وقطيعة أم جعفر[33]، أما في سنة 366هـ/ 976م بلغت زيادة دجلة إحدى وعشرين ذراعاً وانفجر بالزاهر بثق وبباب التبن أخر[34]، ولم يسلم الجانب الشرقي من الغرق حيث ذُكر أنه في سنة 367هـ/ 977م زادت دجلة زيادة عظيمة حتى انتهت إلى إحدى وعشرين ذراعاً[35]، وأغرقت كثيراً من الجانب الشرقي من بغداد وأغرقت مقابر باب التبن واشرف الناس على الهلاك [36]، وقال ابن الجوزي "انفجر بالزاهر من الجانب الشرقي بثق غرق الدور والشوارع"[37]، وهرب الناس إلى السفن [38]،" وانفجر بثق من الخندق غرق مقابر باب التبن وقطيعة أم جعفر وخرج سكان الدور الشارعة على دجلة منها وغار الماء من أبارها وبلاليعها وإنهم الناس نفوسهم خوفاً من غرق

البلد كله ثم نقص الماء[39]، وفي سنة 368هـ/ 978م زادت دجلة زيادة مُفرطة فغرق كثير من الجانب الشرقي والجانب الغربي واشرف الناس على الهلاك [40]، انظر خارطة رقم (3) لتحديد أماكن الغرق.

أما في سنة 370هـ/ 980م "زادت دجلة والفرات وانفجر بثق وسقطت قناطر الصراة فوقعت القنطرة الجديدة في نصف ذي القعدة، ووقعت العتيقة بعدها" [41]، وقد " شهدت السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فيضانين جارفين"[42]، وذكر الأصفهاني وجود سجون في جانبي دجلة بقوله:" شغب الفرسان على السلطان... ومضوا إلى السجون في الجانبين ففتحوها وأخرجوا من فيها"[43].

غرقت بغداد سنة 401هـ/ 1010م بفيضان نهر دجلة وبلوغها ذروة الخطر وغُمرت مدينة بغداد وملحقاتها وجميع النواحي الجنوبية وركب السكان السفن بغية النجاة وهدم الماء زهاء ألف دار من دور بغداد [44]، وفي سنة 450هـ/ 1058م " فاضت دجلة إحدى وعشرين ذراع علو وغرقت بغداد" [45] أما في سنة 459هـ/ 1066م " فاضت دجلة ثلاثين ذراعاً وغرقت بغداد وركبوا السفن وهدم مائة ألف دار كلها"[46]، ومن الراجح وجود سجون بين تلك الدور التي هدمت لم تذكر كتب التاريخ عنها شيئاً لمعرفة مصير السجناء والإجراءات المتخذة في حينه، وقد فاضت دجلة فيضاناً شديداً فأحدثت خراباً عظيماً في بغداد وكان من جملة ذلك خراب قصر "الثريا" [47] ولاسيما فيضان سنة 461هـ/ 1068م فأنه بلغ الثريا [48]، أما فيضان سنة 462هـ/ 1069م لدجلة فقد أغرق الجانب الشرقي من بغداد وقسماً من جانبها الغربي [49]، "ووصل الماء إلى ثلاثين ذراع علو"[50]، وحدث غرق عظيم لبغداد سنة 466هـ/ 1073م حيث زادت دجلة ثلاثين ذراعاً ولم يقع مثل ذلك قط وهلكت الأموال والأنفس والدواب وركبت الناس في السفن وأقيمت الجمعة في الطيار " نوع من المراكب" على وجه الماء مرتين وإنهدم

مائة ألف دار أو أكثر [51]، وغرق مشهد باب التبن وانهدم سوره وخرب معمورة [52]، وقد لحق بالمارستان العضدي أذى كبيراً [53] من حوادث الغرق التي كانت تصيب بغداد من حين إلى أخر [54]، وقد روي أنه في ذلك الغرق العظيم كانت القوارب تنساب في قاعات المستشفى العضدي وشبابيكها ذهاباً وإياباً[55].

وفي سنة 478هـ/ 1085م فاضت مياه دجلة فأغرقت أكثر البيوت في تلك السنة[56]، وكان الفيضان الذي حدث سنة 499هـ/ 1105م أدى إلى إزعاج الناس وهلاك الغلاة الزراعية [57]، وفي ربيع سنة 502هـ/ 1108م فاض دجلة من جديد وقطع الطرق وغرقت الغلاة الشتوية والصيفية مما أدى إلى حدوث غلاء عظيم [58]، فضلاً عن غرق طرق بغداد [59]، وفي سنة 539هـ/ 1144م حصل فيضان عارم وطغى الماء " خلف المحال فقلب في الخندق ألطاهري والصراة ونهر عيسى ورمى قطعة من قنطرة باب البصرة" [60]، أما في سنة 554هـ/ 1159م عندما غرقت بغداد[61]، وأحاط الماء بالسور الكبير في الجانب الشرقي من المدينة وإنثلمت منه ثلم عُجِزَ عن سدها فتهدم معظم محال بغداد[62]، ثم "عاد في سنة 564هـ/ 1168م فخرب مواضع كثيرة"[63].

كما غرقت بغداد سنة 569هـ/ 1173م[64]، حيث توالت الأمطار فخربت المساكن وكثر الهدم في بغداد [65]، وزادت دجلة ووصل الماء في أشد فيضانه إلى حدود اثنتين وعشرين ذراعاً[66]، ووصل إلى سور بغداد العتيق الذي بناه الخليفة أبو جعفر المنصور (136 – 158 هـ – 754 – 775م)[67]، وغرق الجانب الغربي من بغداد بانكسار سد قبين [68]مما أدى إلى أن ينقلب الماء إلى خندق طاهر بن الحسين والصراة ونهر عيسى وأن يهدم قطعة من قنطرة باب البصرة [69]، وعلى إثر ذلك الفيضان كثر النزيز بدار الخلافة [70]، ودخل نزيز الماء من الحيطان فملأ النظامية والتتشية ومدارس آبي النجيب وقيصر وجميع الشاطئات ثم وصول النزيز إلى رباط أبي سعد الصوفي فهدمت فيه مواضع والى درب السلسلة ومن هذه

المواضع ما وقع جميعه ومنه ما تضَعْضع [71]، وتعرض المارستان العضدي للغرق أيضاً حيث "دخل الماء إلى المارستان وعلا فيه ورمى شبابيك من شبابيكه الحديد فكانت السفن تدخل من الشبابيك إلى ارض المارستان ولم يبقى منه ومن يقوم بمصلحته إلا المشرف على الحوائج..... ورقى المرضى إلى السطح" [72]، وذكر أنه في سنة 590هـ/ 1193م زادت دجلة ووصل الماء إلى سور بغداد العتيق الذي بناه المنصور [73].

أما في سنة 604هـ/ 1207م " زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل الماء في خندق بغداد من ناحية كلواذ ا فخيف على البلد من الغرق" [74]، وفي سنة 614هـ/ 1217م زادت دجلة [75]، زيادة عظيمة لم يكن مثلها في قديم الزمان وأشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة أعيانا لأمراء وجمعوا جمعاً عظيماً من العامة وغيرهم لعمل القورج [76] وقد قلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك وأعدوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/ 1180-1225م) بنفسه متألماً مشجعاً الناس على درئه مخاطباً إياهم بقوله: (لو كان يُفدى بمال أو غيره لفعلتُ ولو دُفِعَ بحرب لفعلتُ، ولكن أمر الله لا يرد) [77]، وحثهم على العمل وضرب الفيضان كثير من الجانب الغربي وغرق مشهد الإمام أبي حنيفة وبعض الرصافة وجامع الخليفة المهدي (157 – 169 هـ – 775 – 785م) وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة في جامع السلطان وتهدم أكثر الجانب الغربي ونهر عيسى والشطيات وخُربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الطاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى وأكثر محلة قطفتا [78]، "ودام سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ثم نقص الماء وبقيت بغداد من الجانبين تلولاً لا أثر لها" [79].

وزادت دجلة سنة 641هـ/ 1243م زيادة مفرطة فغرقت مواضع كثيرة ونبع الماء في المدرسة النظامية ودخل بيوتها وكذلك ما جاورها وخرب محلة كان

استجدها الغرباء من الجند بظاهر سور سوق السلطان وراء جامع المدينة [80]، وفي فيضان سنة 646هـ / 1248م[81]، نَبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن مسجد الحظائر المعروف بأم الناصر [82]، ووصل الماء إلى البدرية ودار الخليفة والريحانيين ودار الوزير وباب العامة[83]، ودخل الماء جامع المنصور[84] في الجانب الشرقي من بغداد، وتعرض جامع الحربية للغرق وخِرِب فقام عز الدين أبو سعد مرشد بن عبد الله الشرابي(ت 652هـ/ 1254م) بتعميره [85]، وقام الماء في المدرسة النظامية ستة أذرع"[86]، أنظر خارطة رقم (4) لتحديد ومعرفة أماكن الغرق (المارستان العضدي، المدرسة المستنصرية، المدرسة النظامية، قصور دار الخلافة)، وأنشد أحد الشعراء في ذلك:

أقسمت يا أيها المولى الوزير لقد — حاط الرعية طرف مــنك يقظــان
من ماء دجلة لما أن طغى وعنت له — الهضاب وخافت منـــه بفـــدان
عسراً زيادته لما برزت له — من خوف عزمتك الغراء نقصان
لو كنت في عصر نوح ما الم به — في الأرض يا خير أهل الأرض طوفان
أو كان ذا المـــاء سلطــان يراع بـه — فأنت فينا على السلطان سلطـان[87]

ومن الجدير بالــذكر انه لم يصـــلي أحـــد الجمعة في الجانب الشرقي سنة 647هـ/ 1249م إلا في جامع القصر وفي الجانب الغربي في جامع فخر الدولة وجامع بهليقا وذلك بسبب الغرق[88].

وقال في ذلك الفيضان ابن أبي الحديد:

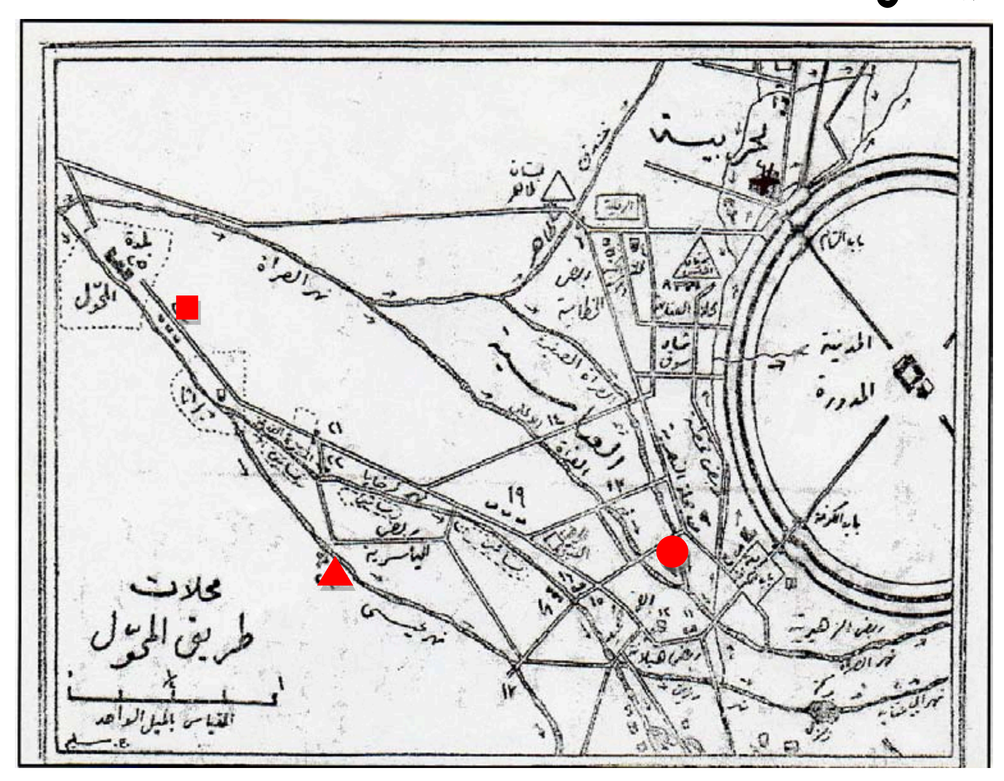
أقبل العام وانقضى خطر الماء	سريعاً وكان أمراً خطيراً
طردت بأسه عن السور طرداً	همه لم تزل على الخلق سوراً
أنت تحي الورى كيس وتنجيهم	كنوح وقد رأى التنوراً
وتقيهم كفعل موسى على الطور	وتبني لهم من الأمن طوراً [89]

ونقل رفات زاهد من إيوان مسجده الذي ابتناه بالجانب الغربي على دجلة جنوب نهر عيسى إلى مشتتتهد موسى بن جعفر لخراب لحق بالإيوان من جراء الفيضان لذلك العام[90]، وتعرض قبر الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/ 1170-1180م) للهدم في ذلك الفيضان حيث انشق حائط القبر[91].

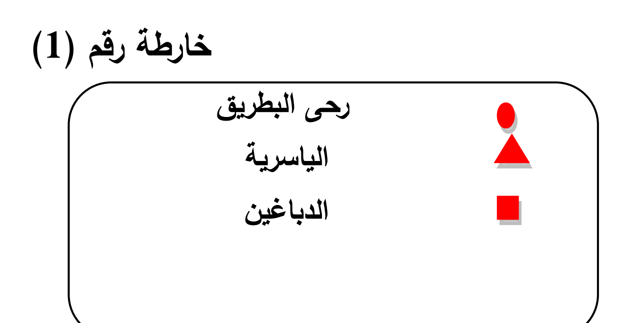
زادت دجلة سنة 651هـ/ 1253م زيادة عظيمة غرق بها كثير من مزروعات بغداد وغيرها [92]، وفي سنة 652هـ/ 1254م " غرقت بغداد بزيادة دجلة وخلق كثير هلك وركب الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ/ 1242-1258م) في مركب في أزقة بغداد" [93]، وخرب مسجد عند مقبرة باب الدير باسم مسجد الجنائز وهو غير مسجد معروف الكرخي الذي كان على دجلة في محلة قصر عيسى بغرق سنة 653هـ/ 1255م[94]، وسَبَبَ ذلك الفيضان سقوط القبة الخضراء[95]، بسبب تأثير المياه على العمران بشكل كبير ومؤثر [96]، وعندما زادت مياه دجلة والفرات وحدث فيضان سنة 654هـ/ 1256م[97] فحصل " غرق عظيم حتى دخل الماء إلى بغداد وأحاط بسورها ووصل إلى الشرفات" [98]، وارتفعت الأسعار نتيجة الفيضان [99]، وغرقت مسناة[100] مسجد الحظائر(مسجد أم الناصر) في ذلك الفيضان [101]، "وغرق كثير من البلد ودخل الماء دار الخليفة وسط البلد وانهدمت دار الوزير وثلاث مائة وثمانون داراً وإنهدم مخزن الخليفة [102]، " وركب الخليفة المستعصم بالله في مركب مع حرمه وأتباعه وسارت السفن في أزقة

بغداد" [103]، " وغرقت خزائن الخليفة" [104] وخزانة السلاح وامتلأ صحن السلام والفردوس وامتلأ سجن المطبق وانتقل الساكنون بدار الصخر من أولاد الخلفاء وكذلك ساكنوا الفردوس من أعمام الخليفة وكذلك مكان دار الشجرة ونقل الوزير أهله وكذلك أستاذ الدار ووقع حائط دار الشجرة وحائط الأربعيني [105]، وقد أشير إلى أن قصر التاج أصبح سجناً لسجناء الدولة [106]، ولم يعرف مصيرهم أثناء وبعد الفيضان، وتم نقل من كان من أنساب الخليفة محبوساً في دار الشجرة ودار الصخر إلى ديوان الزمام[107][108]، الذي كان يحتوي على سجن، وقد ذكر الغساني أنه فُقِد رجل من ديوان الزمام كان محبوساً فيه [109]، ومن المؤسف أنه لم تذكر المصادر القديمة شيئاً عن السجناء في أثناء تلك الفيضانات وهل أن نقل انساب الخليفة من السجون عند الفيضانات ونقلهم إلى مكان أخر اقتصر عليهم أم كانت هنالك محاولات لنقل سجناء آخرين، فمن الراجح أن سجن المطبق الذي ذُكر أنه امتلأ بالماء فيه سجناء من العامة فما هو مصيرهم في ذلك الوقت، فضلاً عن السجناء في قصر التاج الذي كان سجناً للدولة، وكيف كان الإجراء المتخذ في تلك اللحظات الحرجة، هذا ما أملأن تكشف عنه الأيام القادمة بعد أن وضع هكذا موضوع تحت الأضواء لأنه بحاجة إلى وقفة ودراسة لإماطة اللثام عن الوجه الحقيقي للأحداث التاريخية.

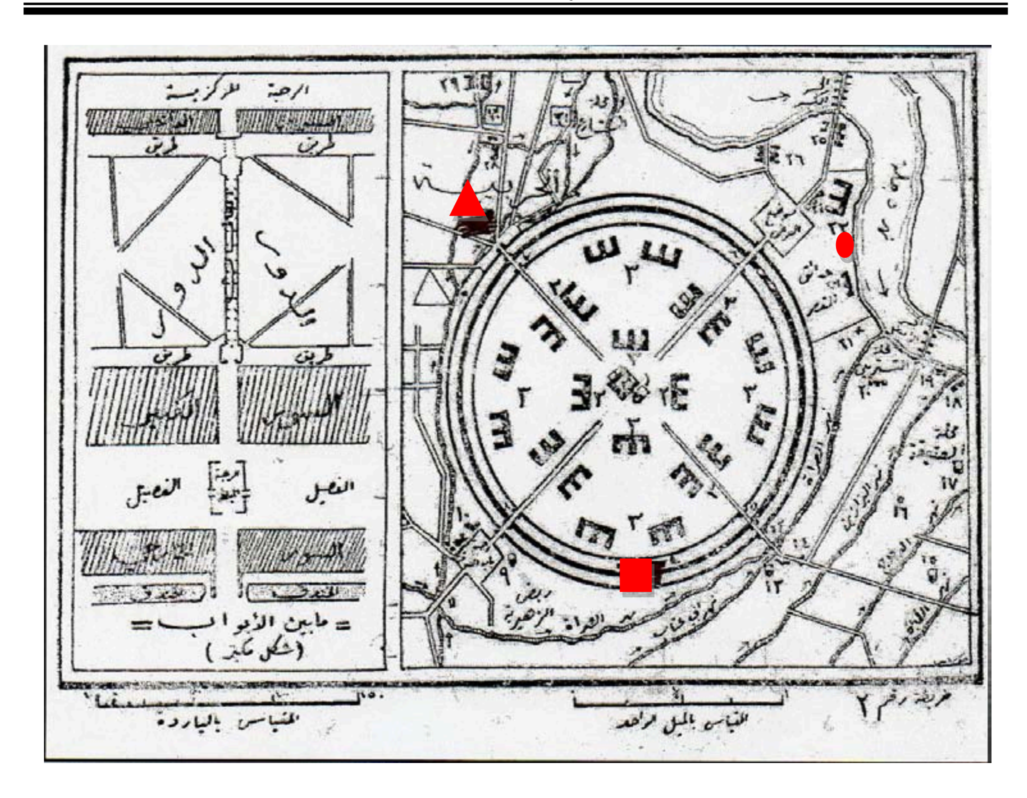
الملاحق



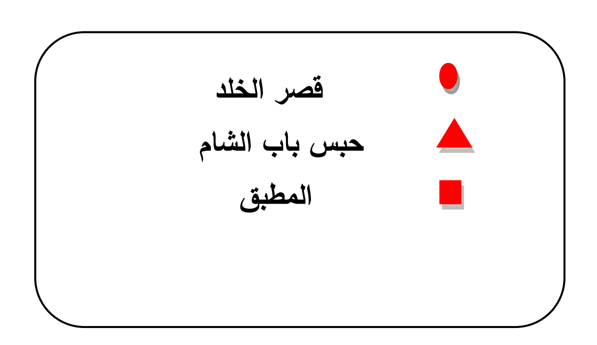
خارطة رقم (1)



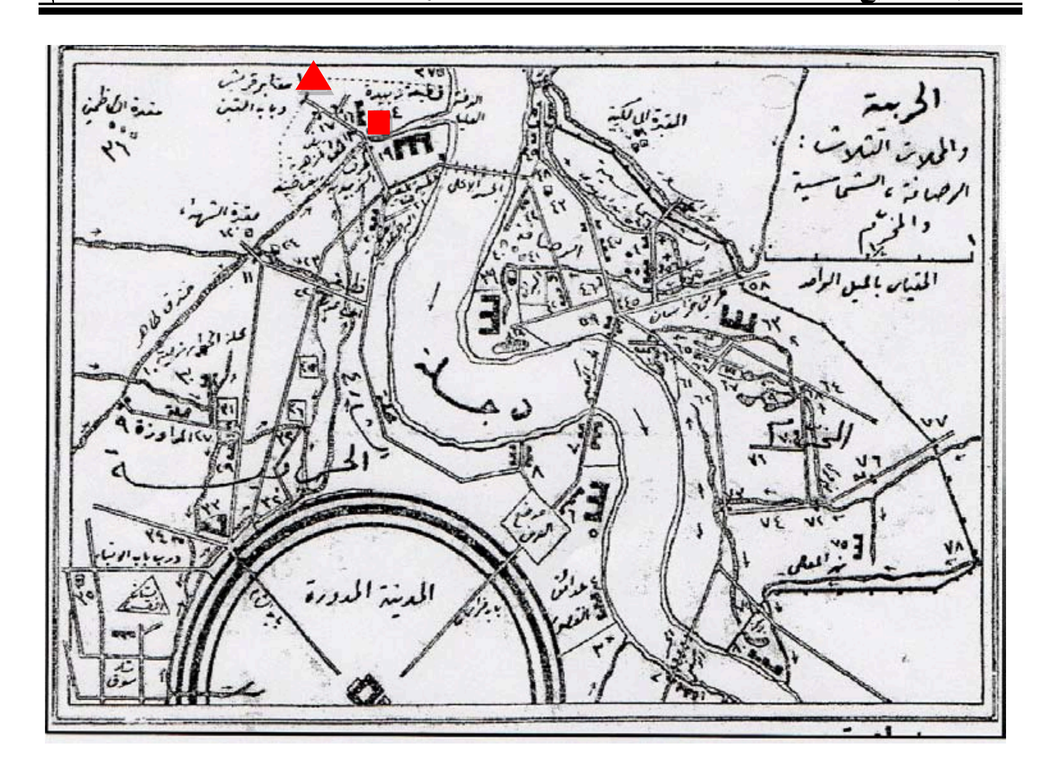
نقلاً عن: لسترانج، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص 121.



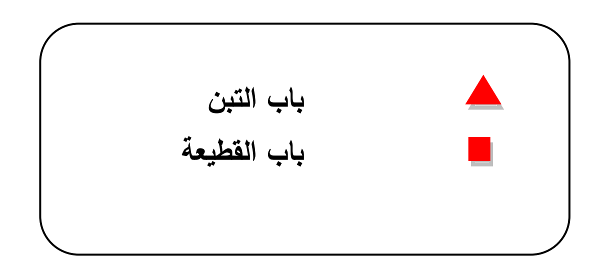
خارطة رقم (2)



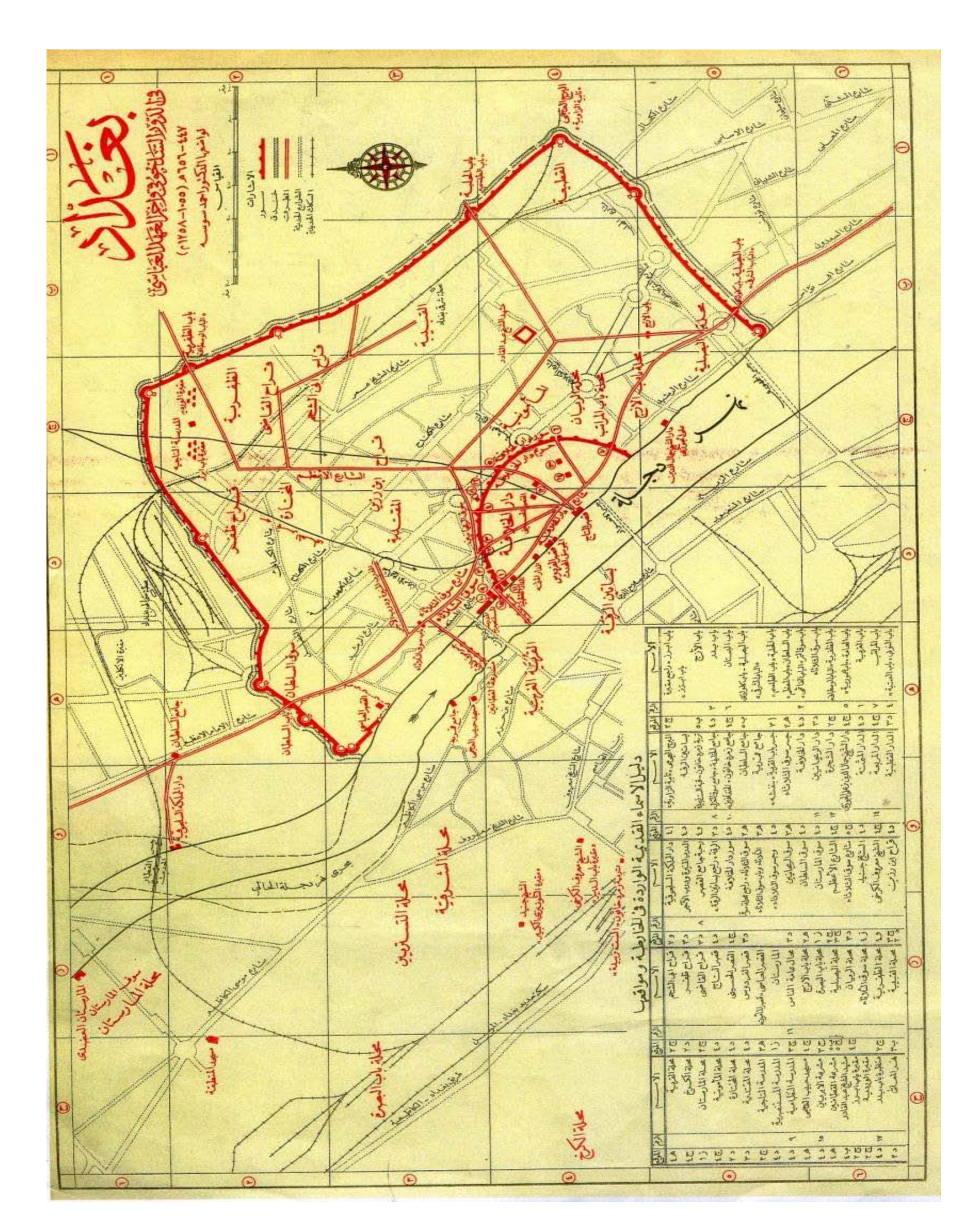
نقلاً عن: لسترانج، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص 23.



الخارطة رقم (3)



نقلاً عن: لسترانج، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص 100.



الخارطة رقم (4)

نقلاً عن: سوسة، أحمد، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد العاشر، السنة 1963، ص 32.

هوامش البحث:

١. سورة الأنبياء، الآية: 30.
٢. سورة الحاقة، الآية: 11–12.
٣. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، (دار الآفاق الجديدة، بيروت: 1973)، ص 27.
٤. سوسة، أحمد، فيضانات بغداد في التاريخ، (مطبعة الأديب، بغداد: 1963)، ق1 ص 280.
٥. وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ ويسقي ضياع بادورية ويتفرع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمر بقنطرة العباس ثم قنطرة الصبيات ثم قنطرة رحا البطريق ثم القنطرة العتيقة ثم القنطرة الجديدة ويصب في دجلة. أنظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، (دار صادر، دار بيروت: 1957) مج 3 ص 399.
٦. ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر، كتاب بغداد، صححه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، نشره وراجعه: السيد عزت العطار الحسيني، (مكتبة الخانجي، القاهرة: 1949)، ص 143.
٧. الكرخي، أبو بكر محمد بن الحسن، كتاب أنباط المياه الخفية، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الدكن: 1940 م)، ص 11.
٨. عواد، ميخائيل، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، (منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد: 1981)، ص 121.
٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (مطبعة السعادة، مصر: 1952)، ص 366.

١٠. الياسرية: موضع من متفرجات بغداد على نهر عيسى، أنظر: الحميري، محمد بن عـبد المنعم، الروض المعـطار فـي خبر الأقطار ، تحقيق: إحسان عباس، (مكتبة لبنان، بيروت: 1975)، ص 616.

١١. بَثْق: كسر سده ليفيض منه الماء، الجمع بثوق: موضع الكسر من الشط، أنظر: المنجد في اللغة (ط28، دار المشرق، بيروت: د.ت)، ص 26.

١٢. أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط4، دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ج9 ص 667.

١٣. العلي، صالح أحمد، بغداد مدينة السلام، إنشاؤها وتنظيم سكانها في العهود العباسية الأولـى – الجانـب الغـربي (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد: 1985)، مج 1 ص 200.

١٤. ذراع البريد هي عين الذراع الشرعية التي يبلغ طولها 49/875سم، أنظر: هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة عن الألمانية: كامل العسلي، (عمان: 1970)، ص 84.

١٥. ابن تغرى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه، القاهرة: د.ت)، ج3 ص 157.

١٦. اليعقوبي، أحمد بن أبو يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، (المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف: 1918)، ص 9.

١٧. اليعقوبي، نفسه، ص 16 ؛ لسترانج، غي، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة: بشير يوسف فرنسيس، (بغداد: 1923)، ص 117.

١٨. اليعقوبي، نفسه، ص 16 ؛ ليسنر، يعقوب، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجـمة: صالـح أحمد العلي، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد: 1984)، ص 86.

١٩. الطبري، تاريخ، ج9 ص 262.

٢٠. نصر بن مالك الخزاعي كان صاحب شرطة الخليفة المهدي، أنظر: ابن حبيب، أبو جعفر محمد، كتاب المحـــبر، اعتنت بتصحيحه: ايلزه ليختن شتيتر، (منشورات المكتب التـــجاري للطـــباعة والنـــشر والتوزيـــع، بيروت: 1942م)، ص 374-375.
٢١. العلي، معالم بغداد الإدارية والعمرانية – دراسة تخطيطية، (مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد: 1988)، ص 186.
٢٢. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، (دار الكتاب العربي، بيروت: د.ت)، 87/1 ؛ ابن الفقيه الهمذاني، بغداد مدينة السلام، تحقيق: صالح أحمد العلي، (دار الطليعة، باريس: 1977)، ص 47.
٢٣. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن: 1358 هـ)، ج7 ص 2.
٢٤. ابن الجــوزي، المنتظم، ج6 ص53 ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 1 ص 75.
٢٥. ألصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 إلى سنة 333 هـ من كتاب الأوراق، عني بنشره: ج. هيورث. دن، (دار المسيرة، بيروت: 1979)، ص 140.
٢٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج6 ص 300.
٢٧. الدوري، تقــي الدين عارف، عصــر إمــرة الأمراء في العراق 324 – 334 هـ / 936 – 946م دراسة ســـياسية اقتصـــادية اجتماعية، (مطبعة أسعد، بغداد: 1975)، ص 290.
٢٨. الهمذاني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري من كتاب ذيول تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، مصر: 1977)، ص 330.

٢٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج6 ص 318.
٣٠. أصل الطاق البناء المعقود وجمعه الطاقات، أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج 4 ص 5.
٣١. جواد، مصطفى وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد: 1958)، ص 148 ؛ السوداني، عبد الله عبد الرحيم، أسوار بغداد، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، السنة 1979، ص 47.
٣٢. الدوري، عصر إمرة الأمراء، هامش ص 292.
٣٣. العلي، بغداد مدينة السلام، مج 2 ص 138.
٣٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج7 ص 83.
٣٥. نفسه، ج7 ص 87.
٣٦. الصوفي، أحمد علي، أرض السواد، (مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل: 1955)، ص 76.
٣٧. المنتظم، ج7 ص 87.
٣٨. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دراسة وتحقيق: جنان جليل محمد الهموندي، (الدار الوطنية، بغداد: 1990)، ج7 ص 196.
٣٩. ابن الجوزي، المنتظم، 87/7.
٤٠. الحسيني، محمد صادق، عمران بغداد، (مطبعة دار السلام، بغداد: 1930): ص 66 ؛ البستاني، المعلم بطرس، دائرة المعارف، (مطبعة المعارف، بيروت، 1881م)، ج5 ص512.
٤١. العلي، بغداد مدينة السلام، مج 2 ص 14.

٤٢. ألأعظمي ، عواد مجيد، تاريخ الري في سهول الرافدين من عصر صدر الإسلام حتى نهاية العهد العباسي، (دار الحرية، بغداد: 1985)، ص 70.
٤٣. حمزة بن الحـــسن، تاريـخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (مطابع دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت)، ص 158.
٤٤. الصوفي، أرض السواد، ص 76-77.
٤٥. العمري، ياسين أفندي، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره: محمد صديق ألجليلي، (مطبعة أم الربيعين، الموصل: 1940)، ص 7.
٤٦. العمري، نفسه، ص 8.
٤٧. الثريا: أبنية بناها المعتضد قرب التاج بينهما مقدار ميلين وعمل بينهما سرداباً تمشي فيه حظاياه من القصر الحسني. أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج 1 ص 77.
٤٨. جواد، دليل خارطة بغداد، هامش ص 121.
٤٩. الصوفي، أرض السواد، ص 77.
٥٠. العمري، غرائب الأثر، ص 8.
٥١. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 422.
٥٢. الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار: الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978)، ص 51 ؛ العلي، بغداد مدينة السلام، مج 2 ص211.
٥٣. الحسيني، عمران بغداد، ص 75.
٥٤. بنيامين بن يونة التطيلي الأندلسي، رحلة بنيامين، ترجمه عن الأصل العبري وعلق حواشـــيها وكـــتب ملحقاتـــها: عزرا حـــــداد، (المطبعة الشرقية، بغداد: 1945)، هامش ص 135.

٥٥. دكوك، ريجار، بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: فؤاد جميل ومصطفى جواد، (ط1، مطبعة شفيق، بغداد: 1962)، ج1 ص 159.
٥٦. شندب، محمد حسين، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامـــس الهجري 467 – 512 هـ (دار النفائس، بيروت: 1984)، ص 54.
٥٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج9 ص 146.
٥٨. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، (دار صادر – دار بيروت: 1966)، ج10 ص470 ؛ الحسيني، عمران بغداد، ص 78.
٥٩. الصوفي، أرض السواد، ص 78.
٦٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج 10 ص 247 ؛ العلي، بغداد مدينة السلام، مج 2 ص 138.
٦١. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، (حيدر آباد، 1951)، ج8 ص 232.
٦٢. سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، ق 1 ص 303.
٦٣. ابن الجوزي، مناق ـــ ب بغداد، تصحيـــ ح وتعليق: محمد بهجة الأثري البغدادي، (مطبعة دار السلام، بغداد: 1342 هـ)، ص 34.
٦٤. ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص 34 ؛ رؤوف، عماد عبد السلام، تاريخ مشاريع م ـ ياه الشـــرب القديمة في بغداد، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد: 2002)، ص 44.
٦٥. الصوفي، أرض السواد، ص 79.
٦٦. عواد، صور مشرقة، ص 122.
٦٧. العلي، بغداد مدينة السلام، مج 1 ص 308.

٦٨. قبين: اسم أعجمي لنهر وولاية بالعراق. أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج 4 ص 309.

٦٩. جواد، دليل خارطة بغداد، ص 89.

٧٠. العلي، الدواوين والوزارة مراكزها في العهود العباسية، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، السنة 1979، ص 140.

٧١. رؤوف، مـدارس بغـداد فـي العصر العباسي، (مطبعة دار البصري، بغداد: 1966)، ص 49.

٧٢. العلي، بغداد مدينة السلام، مج 1 ص 350.

٧٣. العلي، نفسه، مج 1 ص 308.

٧٤. الغساني، الملك الأشرف، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملـوك، تحقـيق: شاكر محـمود عـبد المنعم، (دار البيان، بغداد: 1975)، ص 323.

٧٥. ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص 34.

٧٦. القورج: نهر بين القاطول وبغداد، منه يكون غرق بغداد كل وقت تغرق، أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج 4 ص412؛ وكانوا يجتهدون في سده وإحكامه بغاية جهدهم وإذا زادت دجلة بثقة فأغرق ما حول بغداد كله، أنظر: البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد بجاوي (دار المعرفة، بيروت: 1955)، ج3 ص 1132.

٧٧. ابن الأثير، الكامل، ج12 ص 332.

٧٨. نفسه، 332/12 ؛ الحسيني، عمران بغداد، ص 86-87.

٧٩. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8 ص582.

٨٠. ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق وتقديم: مصطفى جواد، (دون اسم مطبعة،بغداد: 1932م)، ص 186.

٨١. ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص 34 ؛ معروف، ناجي، تخطيط بغداد، (دار الجمهورية، بغداد: 1966)، ص 23.

٨٢. جواد، أرض السواد، ص 189.

٨٣. رؤوف، مدارس بغداد، ص 156.

٨٤. ابن الفوطي، الحوادث، ص 233.

٨٥. ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، (المطبعة الهاشمية، دمشق: 1962)، ق1 ج4 ص357.

٨٦. ابن الساعي، أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، نشره وعلق عليه: مصطفى جواد، (المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد: 1934)، هامش ج9 ص 266.

٨٧. الغساني، العسجد المسبوك، ص 565.

٨٨. المصدر نفسه، ص 569.

٨٩. المصدر نفسه، ص 570.

٩٠. رؤوف، مدارس بغداد، ص 108.

٩١. ابن الفوطي، الحوادث، ص 242 ؛ العلي، بغداد مدينة السلام، مج 2 ص 89.

٩٢. ابن الفوطي، نفسه، ص 267.

٩٣. العمري، غرائب الأثر، ص 10.

٩٤. جواد، دليل خارطة بغداد، ص 90.

٩٥. معروف، تخطيط بغداد، ص 20.

٩٦.ألحديثي ، عطا محمد صالح، قبتان مخروطيتان من بغداد، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، السنة 1979، ص 383.
٩٧.ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص 34.
٩٨.سليمان، ابن ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل للاستبصار والجدل وهو أقدم المصادر في تاريخ النصارى في الإسلام، تحقـ يق: الأب هنـ ري جيسموندي اليـ سوعي، (دار ومكتبة بيبلون، بيروت: 2005)، ص 119.
٩٩.خصـ باك، جعـ فر حـ سين، العراق في ع ـــ هد المـ غول الايلخانيـ ين 656 – 736 هـ / 1258 – 1335 م ، الفتح الإدارة الأحوال الاقتصادية والأحوال الاجتماعية، (مطبعة العاني، بغداد: 1968)، ص 227.
١٠٠.مسناة: هي سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة. أنظر: بن هادية، علي وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، تقديم: محمود السعدي (ط2، تونس: 1980) ص 1074.
١٠١.جواد، دليل خارطة بغداد، ص 190.
١٠٢.اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، (مطبعة مجلـ س دائرة المعـ ارف العثمـ انية بحيدر آباد، الدكن، الهند: 1954)، مج 1 ص 8.
١٠٣.العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، (مطبعة دار البصري، بغداد: 1968)، ص 164.
١٠٤.سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8 ص 794.
١٠٥.الغساني، العسجد المسبوك، ص 616.
١٠٦.دكوك، بغداد مدينة السلام، ج1 ص 134.

١٠٧.ديوان الزمام: وضع الخليفة المهدي دواوين الأزمة سنة 162 هـ / 778 م، وهي دواوين صغيرة للإشراف على دواوين الدولة، وقيل عن عمل هذه الدواوين أن يكون لكل ديوان زمام وهو رجل يضبطه وظل هذا الديوان (الزمام) يمارس مهامه طوال العصر العباسي، أنظر: الكساسبة، حسين فلاح، المؤسسات الإدارية في م ـ ركز الخلافة العباسية، الدواوين، (منشورات جامعة مؤتة، الأردن: 1993م)، ص 44، 179، 267 ؛ وهو الديوان الذي يشرف على أعمال الدواوين الأخرى من الناحية المالية، أنظر: فهد، بدري محمد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير 552 – 656 هـ ، (مطبعة الإرشاد، بغداد: 1973)، ص 154.

١٠٨.ابن الفوطي، الحوادث، ص 317.

١٠٩.العسجد المسبوك، ص 595.